



أثار قرار روسيا سحب جزء من قواتها العسكرية من سوريا الكثير من الجدل والنقاش، خاصة بسبب سرعته ومباغنته وغرابته، وحاولت المعارضة السورية تفسير هذا القرار وتنوع الآراء والتحليلات بتنوع مزاجيات وإيديولوجيات وثقافة هذه المعارضة، لكنها أجمعـت بـغالبيتها على وجود تحـول في الموقف الروسي وبداية افتراق عن النظام السوري الذي دعمـته بشكل مطلق وعـرقلـت كل قـرارات مجلس الأمـن من أجل عدم سقوطـه.

استندت المعارضة السورية في تأويلـها للانسـحـاب الروسي إلى فـرضـيات ليست من بينـها أية فـرضـية حـاسـمة أو مـقـنـعة، حيث اعتبرـ البعض أنـ الخطـوة الروسـية هي ردـ على مشـاكـسة الأـسد وعـصـيـانـه، واعتـبرـ آخـرونـ أنـ الانـسـحـاب خـطـة لـضعـافـ موقفـ النـظـام السـورـي تـفاـوضـياً في جـنـيف وـدـفعـه لـلـقـبـول بـحلـ سـيـاسـي وـسـطـ، فـيمـا رـأـيـ آخـرونـ أنـ روـسـيا (هـربـتـ) منـ سـورـيـة خـوفـاً منـ الغـرـقـ فيـ المـسـتـنـعـ السـورـيـ، أوـ خـوفـاً منـ عـجـزـ اقـتصـادي بـسـبـبـ تـكـلـفـ الـحـرـبـ الـبـاهـظـةـ، وـذـهـبـ الـبـعـضـ إـلـىـ أـبـعـدـ مـنـ ذـلـكـ فـيـ فـرـضـياتـهـ إـلـىـ حدـ التـأـكـيدـ عـلـىـ أـنـ روـسـياـ أـعـادـتـ حـسـابـاتـهاـ بـعـدـ أـنـ رـأـتـ صـورـ مـضـادـاتـ جـوـيـةـ بـيـدـ الثـوـارـ.

سرـعـانـ ماـ تـبـيـنـ عـدـ صـوـابـيـةـ كـلـ هـذـهـ فـرـضـياتـ، وـثـبـتـ تـسـرـعـ المـعـارـضـةـ السـورـيـةـ فيـ إـطـلاقـ أـحـكـامـهاـ وـقـرـاءـاتـهاـ لـلـأـحـدـاثـ (كـعـادـتـهاـ)، إـذـ اـتـضـحـ أـنـ روـسـياـ لـمـ تـسـحـبـ إـلـاـ جـزـءـاًـ مـنـ قـوـاتـهاـ وـلـوـحـتـ بـالـعـودـةـ خـلـالـ سـاعـاتـ، وـأـكـدـتـ أـنـهـ لـاـ تـرـمـيـ لـيـضـعـافـ النـظـام السـورـيـ أـوـ الضـغـطـ عـلـىـ النـظـامـ الـذـيـ يـقـولـ الـوـاقـعـ أـنـهـ لـمـ وـلـنـ يـقـدـرـ عـلـىـ عـصـيـانـ مـنـ حـمـاـهـ طـوـالـ خـمـسـ سـنـوـاتـ، وـاتـضـحـ أـيـضـاًـ أـنـ روـسـياـ لـاـ تـسـعـيـ بـأـيـ شـكـلـ مـنـ الأـشـكـالـ لـلـضـغـطـ عـلـيـهـ لـتـقـدـيمـ تـنـازـلـاتـ فـيـ مـفـاـوضـاتـ جـنـيفـ، كـمـاـ لـمـ يـكـنـ سـبـبـ الـانـسـحـابـ الـجـزـئـيـ التـكـالـيفـ الـاـقـتصـاديـ للـحـرـبـ وـالـتـيـ لـاـ تـوـضـعـ بـالـحـسـبـانـ عـنـ الـحـدـيـثـ عـنـ مـكـاـسـبـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ لـدـوـلـ كـبـرـىـ.

بعدـ أـسـبـوـعـيـنـ مـنـ إـلـانـ الـانـسـحـابـ الـرـوـسـيـ الـعـسـكـريـ الـجـزـئـيـ تـبـيـنـ أـنـ روـسـياـ لـمـ تـغـيـرـ مـوـافـقـهاـ السـيـاسـيـةـ وـالـعـسـكـرـيـةـ وـاـسـتـمـرـتـ حـلـيـفـةـ وـفـيـةـ لـلـنـظـامـ السـورـيـ، فـتـابـعـتـ عـمـلـيـاتـهاـ الـحـرـبـيـةـ بـعـدـ الـاـكـتـرـاثـ نـفـسـهـ، وـوـاـصـلـتـ تـدـرـيـبـهاـ الـحـيـ فـقـصـفـتـ مـقـاتـلـينـ وـمـدـنـيـيـنـ بـحـجـةـ اـسـتـهـدـافـ تـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، وـلـمـ تـضـغـطـ عـلـىـ النـظـامـ لـتـخـفـيفـ تـشـدـدـهـ فـيـ مـفـاـوضـاتـ جـنـيفـ، بـلـ إـنـهـ لـمـ تـفـعـلـ شـيـئـاًـ لـتـأـجـيلـ اـنـتـخـابـاتـ بـرـلـمـانـيـةـ عـبـيـةـ يـنـظـمـهاـ النـظـامـ الـشـهـرـ الـمـقـبـلـ، وـلـمـ يـصـدـرـ عـنـهـاـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـوـحـيـ بـأـنـهـ تـرـغـبـ بـإـنـهـاءـ الـأـزـمـةـ السـورـيـةـ بـطـرـيـقـةـ مـعـقـولـةـ.

في معرض تحليلها وتفسيرها للخطوة الروسية، نسيت المعارضة السورية أن السياسة الروسية خلال العقدين الأخيرين مبنية على دعم "أسوأ السيئين" في العالم، وأنها لن تتخلى عن أصحابها أصحاب الأنظمة الشمولية الطاغية، مُغتصبي الحريات، المهرة بانتهاك الحقوق ونهب الثروات، ولن ترك للشعوب فرصة لتقرير المصير بعيداً عن هؤلاء الحكام، وأن قادة روسيا ينتهجون سياسة (باطنية) تتناقض فيها الأقوال مع الأفعال، ويضمرون عكس ما يعلون لتسهيل الوصول لأهدافهم، ويبدو أن المعارضة السورية لم تجد من يذكرها بضرورة مضاعفة الحذر قبل إطلاق أي حكم على تصرفات (النظام) الروسي.

تجلت (باطنية) أو (ازدواجية) أو (مخاتلة) روسيا خلال الأزمة السورية بموافق عديدة، فمع بدء الثورة قدمت روسيا نفسها على أنها وسيط حيادي بينما كانت في الكواليس تدعم النظام السوري سياسياً وعسكرياً، بالمال والسلاح والخبراء، وبعد افتضاح هذا الدعم وإخفاء نواياها، حملت بعض مسؤولية قتل السوريين للنظام، لكنها سرعان ما برات ذلك بأنه رد فعل طبيعي ومشروع للدفاع، وفي مرحلة لاحقة حلت أغلظ الأيمان بأنها غير متمسكة بالأسد ولا تربطها به أي صلة خاصة، واتضح أن علاقتها بالأسد الأبن أكثر عمقاً من علاقتها بالأب، وأنها حاضنته وشريان حياته، كذلك حاولت اجتذاب المعارضة السورية بوعود براقة، وسرعان ما تبيّن أنها نصبت كمائن لمن تجاوب معها منهم، كما ادعت أنها تتدخل عسكرياً لمحارب (داعش)، وتبيّن أن أول همومها تدمير فصائل المعارضة التي تورق النظام و(داعش) آخرها، وقالت إنها فاوضت فصائل المعارضة المسلحة التي سرعان ما نفت وكتبتها، وشددت مراراً على وحدة سوريا أرضاً وشعباً، ثم تبيّن أنها أول من حرض حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري لإعلان فيدراليته، كما مهدت الطريق للنظام لإعلان دويلته فيما لو قُطع في الزاوية.

هذا بعض من فيض السياسة الروسية المُخاتلة، والتي يراها زعماء روسيا حرفياً سياسية وليس مرضياً أخلاقياً، حرفية سياسة سهّلت على روسيا تثبيت تواجدها في المتوسط لأجل غير مسمى عبر قواعدها العسكرية في الساحل السوري، وهي بإعلان انسحابها إنما تواصل أسلوب اللعب نفسه لتحقيق أشياء أخرى ليس من بينها حرية الشعب السوري وكرامته.

يبدو أنه من الأفضل للمعارضة السورية أن لا تخطيء وتنسرع في المرة الأخرى بتفسير أي تصرف أو تصريح أو ادعاء روسي، لا على الصعيد السياسي ولا العسكري، ولا حتى على صعيد نشرة الأحوال الجوية، فسياساتها (الباطنية) ليست أحسن حالاً من سياسات النظام السوري الذي جعل التضليل والخداع والتآمر والكذب نهجاً، وعلى هذه المعارضة الانتباه أن لا تقع في الحفرة نفسها مرات عديدة.

المدن

المصادر: